المؤامرة الكبرى
ضد مصر والسادات بدأت منذ عام (4)

المصور :6-6-76
بقلم: إبراهيم البعثى

- **رسالة الإتحاد السوفييتى لم تكن جليطة وإنما كانت جانباً من المؤامرة**
- **هل صحيح أن ورقة أكتوبر تجسد سياسة التبعية ؟**
- **لأول مرة أسرار التحرك السوفييتى بين عمال مصر**

قبل أن أستكمل تفاصيل المؤامرة الكبرى ضد مصر والسادات أجد نفسى مضطراً إلى أن أقول للزميل الكبير الأستاذ صالح جودت :

أننى أختلف معك

فقد كتب فى مقاله الرائع الذى نشر منذ أسبوعين تحت عنوان " حول الورقة السوفيتية وأين صوت اليسار المصرى " يصف موقف السفير السوفييتى بولياكوف عندما طلب مقابلة السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية زاعماً أنه يحمل رسالة من الإتحاد السوفييتى إلى رئيس جمهورية مصر ثم أتضح إنها ورقة تتضمن بياناً سوفييتياً ليس موجهاً إلى أحد مما حمل السيد حسنى مبارك على أن يرفض استلامها كتب الأستاذ صالح جودت يقول إنها "جليطة سوفيتية". ومن رأيى - وكما تؤكد الأحداث والوقائع إنها ليست جليطة سوفيتية وإنما هى جزء من المؤامرة الكبرى التى بدأت ضد مصر والسادات منذ عام هذه المؤامرة التى عهد الإتحاد السوفييتى إلى جبهة الأفاعى بتنفيذها ثم أضطر أخيراً أن يخرج من وراء الستار ويقودها علانية .

أن محاولة تقديم الورقة " البيان السوفييتى " دون أن تكون موجهة إلى أحد معناه أن الإتحاد السوفييتى يهدف إلى أمرين خطيرين :

الأول : عدم الاعتراف بالسلطة القائمة فى مصر .

الثانى : تشجيع وتحريض الجماهير ضد الرئيس السادات .

ولن أستعين فى التدليل على صحة رأيى بما جاء فى هذه الورقة وإنما سأقدم للقراء فقرة من التعليمات الصادرة إلى عملاء السوفييت منذ عام جاء فيها بالحرف الواحد .

لقد قطع نظام الرأسمالية المصرية الكبيرة الذى ينفرد بالسلطة بشكل دكتاتورى إستبدادى أشواطاً سوداء فى طريق خيانة المصالح الوطنية وهو يمضى لاستكمال الحلقات ناسفاً أسس

الاستقلال النسبى للوطن ولذلك فقد انتقلت كافة مهمات التحرر الوطنى التى تعن فى ظروفنا إلى محور الطبقات الشعبية وحدها وأصبح من المحتم الربط بين النضال ضد العدو الإمبريالى والنضال ضد استمرار حكم الطبقة الرأسمالية الكبيرة المصرية المسيطرة التى تسيطر على درب التحالف الموضوعى معها والتى أصبحت سلطتها تمثل عقبة رئيسية فى طريق التحرر الوطنى .

جليطة أم تآمر ؟

هذا ما ورد بالحرف الواحد فى تعليمات السوفييت لعملائهم منذ عام .

وأنى أسال كل وطنى شريف :

هل إغلاق المعتقلات وسيادة القانون وإلغاء الرقابة على الصحف يعتبر حكماً دكتاتورياً مستبداً .

وهل تحطيم خط بارليف وتحرير الأرض حتى الممرات يعتبر سيراً فى طريق خيانة المصالح الوطنية ؟

وماذا يفهم من قولهم فى تعليماتهم أن كافة مهمات التحرر الوطنى انتقلت إلى محور الطبقات الشعبية وحدها .

أليس هذا تحريضاً سافراً للطبقات الشعبية ضد الرئيس السادات وضد مصر أيضاً خاصة عندما أرجو القراء أن يعودوا إلى تفاصيل الحلقة الأولى من هذه المقالات التى قدمت فيها الفقرة الخطيرة والمثيرة التى طالبوا فيها عملاءهم بأن يروجوا لفكرة سخيفة وحقيرة تتلخص فى سحب الجيش المصرى إلى غرب القنال بحجة تحويل المنطقة إلى ميدان قتال .

وكذلك ما أوردته فى الحلقة الثانية عن البند الثالث فى مخططهم الذى نص على فكرة أسخف وأحقر هى :

" إبراز موقف الفصائل الوطنية من المفاوضة فى مؤتمر الخيانة فى جنيف وإعلان المفاوضين من دبلوماسيى النظام الحاكم غير ممثلين للشعب المصرى والتشهير بخيانتهم للأمة .

ماذا يعنى كل هذا ؟

منذ عام جاءت التعليمات السوفيتية متضمنة تحريض " الطبقات الشعبية " ضد السادات وتشويه ثورة التصحيح ونصر أكتوبر ألخ .

ومنذ أسابيع جاءت ورقة الإتحاد السوفييتى متضمنة نفس المعانى ونفس الأكاذيب .
بيان سوفييتى ليس موجهاً إلى أحد لا يعترف بالسلطة القائمة وكله تشويه وتحريض للجماهير ضد السادات .
لا ليست هذه جليطة فقط وإنما هى أيضاً حلقة من حلقات التآمر ضد مصر والسادات .
ملحوظة : قبل أن أكتب هذا المقال الزمنى المرض والجهد الفراش فى فندق إليزابتا وأحـــاط بى الأصدقاء الأساتذة عبد الرحمن الشرقاوى وفضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى ونصـــر عبد الغفور عضو مجلس الشعب وفائق سليم المسئول عن الشئون المالية فى المكتب الطبـــى بقنصلية مصر ، وفجأة سألنى الصديق عبد الرحمن الشرقاوى قائلاً :
من أين لك بهذه المعلومات التى تنشرها عن هذا المخطط ؟
ومددت يدى إلى حقيبة أوراقى ثم قدمت إليه نص التعليمات الصادرة إلى جبهة الأفـــاعى .. تعليمات مطبوعة فى كتيب صغير .
وقرأ الصديق عبد الرحمن الشرقاوى معظم ما جاء فى التعليمات وتوقف قليلاً عنـــد الفقـــرة الخاصة بالهجوم على الانفتاح الاقتصادى وخاصة السطر الأخير منها الذى جاء فيه :
" إسقاط ورقة أكتوبر التى تجسد سياسات التبعية الجديدة " .
وتوقف طويلاً عند الفقرة الخاصة بسحب الجيش المصرى إلى غرب القنال ثم قال وهـــو لا يخفى دهشته وألمه :
مش معقول . مش معقول أبداً .
وتأمل الصديق عبد الرحمن الشرقاوى الحروف التى استخدمت فى جمع سطور هذا الكتيب ثم قال :
هذه السطور لا تستخدم إلا فى مطابع مصرية معينة أو أن هذه التعليمات طبعت فى لبنان .

لماذا هذا التوقيت ؟

والسؤال الهام الذى يجب أن يطرح الآن هو :
تعليمات الإتحاد السوفييتى إلى عملائه والمتشنجين معه ضد مصر والسادات صدرت منذ عام وقد قام كل أطراف جبهة الأفاعى .

وما زالوا يقومون بجهود ضخمة طوال العام الماضى واضعين نصب أعينهم فى مخططهم الإجرامى أن تبلغ المؤامرة ذروتها قبل أكتوبر القادم قبل الانتخابات .

البعث السورى مازال يسعى جاهداً لعزل مصر عن الأمة العربية وما زال منهمكاً فى تمزيق لبنان بل والمقاومة الفلسطينية مؤدياً بذلك أعظم الخدمات لإسرائيل والصهيونية العالمية .

والقذافى يعمل ليل نهار فى تدبير المؤامرات والاغتيالات وإنفاق أموال الشعب الليبى فى شراء الأسلحة السوفييتية وتمويل الصحف التى تقبل التهجم على مصر حتى ولو كان توزيعها لا يزيد على بضع عشرات من النسخ .

وعملاء السوفييت ولابسو قميص عبد الناصر واصلوا جهودهم الإجرامية فى الداخل والخارج.

وبعض عملاء السوفييت ولابسى قميص عبد الناصر دأبوا على محاولة تجنيد الطلبة المصريين الذين يدرسون فى الخارج واستغلال ظروفهم المادية القاسية وهذه المحاولات يشرف عليها مختص من جبهة الأفاعى فى كل بلد فى الخارج .

على سبيل المثال يتولى هذه المهمة فى بريطانيا مسئول دبلوماسى سورى وفى الجزائر شاب مصرى والده صاحب تاريخ طويل فى خدمة السوفييت وفى ليبيا أمين سابق فى الإتحاد الإشتراكى وكان له تاريخ مهول فى المخابرات العامة .

ولكن لماذا أقدم الإتحاد السوفييتى على إرسال هذا البيان بهذه الصورة متجاهلاً السلطة الشرعية فى مصر بل ومحرضاً للجماهير الشعبية ضدها وكذلك متضمناً كل هذه الأكاذيب والدسائس والتهديد والتدخل فى شئون مصر الداخلية ؟

لماذا خرج عن بروده المعتاد ؟

ولماذا تخلى عن كل أبسط مبادئ الدبلوماسية ؟

يقول البعض أن الإتحاد السوفييتى أعتبر إلغاء المعاهدة صفعة قاسية كان لابد أن يرد عليها حتى لا تتجرأ دولة أخرى - وخاصة دول الكتلة الشرقية - على تقليد مصر .

وإلى هؤلاء أقول :

ألم تكن المعاهدة ميتة فعلاً جمدها الإتحاد السوفييتى بنفسه وحولها إلى مجرد حبر على ورق؟

وهل إلغاء المعاهدة الميتة أقصى على الإتحاد السوفييتى من طرد الخبراء السوفييت فى عام 1972 ؟

3 احتمالات

المسألة لا تحتمل إلا أحد الاحتمالات التالية أو كلها مجتمعة :

أولاً : السوفييت قد يكونون قد يئسوا من نجاح تلاميذهم وعملائهم أعضاء جبهة الأفاعى فقرروا التصدى لمصر والسادات بأنفسهم مهما كانت النتائج .

ثانياً : السوفييت قد يكونون قد تبينوا أن الوقت " يسرقهم " وأن أكتوبر أصبح قريباً فإذا لم يبادروا إلى اتخاذ موقف عنيف ضد مصر والسادات وجدد الشعب ثقته بقيادته فمعنى ذلك أن السوفييت قد انتهى نفوذهم إلى الأبد فى المتعلقة العربية بل وفى أفريقيا ، فالسنوات الست القادمة كفيلة بأن يحقق السادات خلالها المزيد من الانتصارات لبلده وللأمة العربية مما يجعل الأرض غير صالحة نهائياً لنشر مبادئهم ويقضى نهائياً على أحلامهم باستيلاء عملائهم على الحكم فى المنطقة .

ثالثاً : قد يكون بعض عملائهم قد أوهموهم بأنهم قد مهدوا الأرض وحرثوها وأن الشعب أصبح على استعداد للاستجابة لهم وأنه يكفى أن يقدم السوفييت على إعلان سخطهم على السادات وعدم اعترافهم بسلطاته الشرعية حتى يهب الشعب مستجيباً لهم .

ولكن وعى الشعب المصرى و أصالته كانت ومازالت أكبر من كل هذه المؤامرات .

لم يصدق الشعب أكاذيب الإتحاد السوفييتى وأعوانه من أعضاء جبهة الأفاعى .

لم يستجب الشعب لإغراءات ملايين الدنانير الليبية التى ينفقها القذافى بسفه فى تدبير المؤامرات ولم يؤمن الشعب بكلمة واحدة مما ردها عبد الحليم خدام وشركاه وحتى الطوائف التى طالبت بتحسين أحوالها تحت ضغط الغلاء وقسوة المعيشة لم يقدم معظمهم على ما يعتبر تعكيراً للأمن أو مخالفة لسيادة القانون .

وأصدق دليل على ما أقول هم العمال المصريون بالذات الذين يعتبرهم الإتحاد السوفييتى القاعدة الأساسية التى يمكن أن يعتمدوا عليها لإقامة حكم يدين لهم بالولاء الكامل فى مصر ولكنهم فشلوا والحمد لله .

السوفييت وعمال مصر

وهذه هى قصة السوفييت مع عمال مصر كاملة ولكن بإيجاز .

لقد حاولت التنظيمات الموالية للسوفييت فى مصر منذ سنوات طويلة التسلل بين عمالها من خلال تجمعاتهم الطبيعية فى مواقع الإنتاج لاستقطاب العمال إلى أفكارهم المسمومة المستوردة فدفعوا إلى تجمعات العمال بالمصانع أفراداً ممن تم تنظيمهم داخل خلايا الحزب الشيوعى والتيار الثورى الجديد والحركات الأخرى التى حلت نفسها ثم عادت سراً فى تشكيلات ومسميات مختلفة تعمل فى الظلام .

لما فشلت محاولات الاستقطاب والانتشار من خلال دفع هذه الخلايا إلى مراكز التجمعات فى المصانع حاولوا استغلال ثورة 23 يوليو بمبادئها لصالح دعوتهم وتنفيذ مخططاتهم ولكن مخططات جمال عبد الناصر وقتئذ كانت تتعارض مع مخططاتهم وانتهى الأمر باعتقال مجموعة منهم وانزواء معظمهم ..

وبعد زيارة خروشوف عام 1964 والإفراج عن الماركسيين وجد أنصار السوفييت 1964 وأعلن عن تشكيلها الرسمى فى يوليو 1966 مناخاً صالحاً وكانت الفترة منذ بداية التكوين والإعلان هى الفرصة الكبرى لهم لإعداد كوادر تؤمن بالفكر الماركسى وخاصة بالإتحاد السوفييتى أساساً للتطور الاجتماعى والاقتصادي فى مصر وخير دليل على ذلك هو الرجوع إلى البرامج الفكرية التى كانت تدرس فى هذه المعسكرات والتى كان العدد الأكبر من روادها من بين العمال وطلبة الجامعات لأن مخططاتهم دائماً ومنها المخطط الإجرامي الحالى تعتمد على استقطاب الطلبة والعمال .

وكان التركيز فى هذه المعسكرات يأخذ شكله الحاد والمكثف على مجموعات العمال مع التأكيد الدائم لهم على أن صراع المتناقضات أو الإضداد لابد أن يستمر فيكون أساساً للمتطور الاجتماعى وصولاً إلى الفردوس الموعود لمن يعتنق الماركسية ويدافع عنها وعن الإتحاد السوفييتى بالذات .

وكان أنصار السوفييت يحرصون على جملة تصرفات غريبة منها :

أولاً : كان مجرد ذكر عبارة " بسم الله الرحمن الرحيم " فى افتتاح أى اجتماع يحضرونه يثير سخريتهم وضحكاتهم ويتهمون صاحبه بالرجعية بل وأحياناً بالشعوذة .

ثانياً : تكالبهم على الترشيح لعضوية مجالس إدارات اللجان النقابية فى الوقت الذى كانوا لا يحرصون على الترشيح للمنظمات النقابية الأخرى والسر فى ذلك طبعاً أن اللجان النقابية الفرعية أو العامة لديها دائماً أرصدة ومبالغ لا تخضع لرقابة دقيقة .

وجود هذه الأموال تحت أيديهم بهذه الصورة يمكنهم من الانتشار السريع وتقديم مكافآت ومرتبات سرية لبعض الأفراد ممن يستخدمونهم فى استقطاب عناصر أخرى وإلى جانب هذه المكافآت السرية كانوا أيضاً يقدمون للبعض هدايا عينية : ثلاجة أو بوتاجاز أو نجفة وطبعاً هذه الهدايا بالذات كانوا يقدمونها إلى من لهم ثقل جماهيرى بين العمال .

وهذه مجرد نماذج بسيطة لمحاولة شد وجذب واستقطاب جماهير العمال إلى الفكر الماركسى والولاء للإتحاد السوفييتى .

ثالثاً : محاولة انتساب فكر ومبادئ ثورة 23 يوليو إلى واحد فقط من الضباط الأحرار تحت اسم الفكر الناصرى وهذا فى حد ذاته إنكار لجهود زملائه فى قيام الثورة كما إنه يتمشى مع عقيدتهم فى عبادة الفرد وتقديسه وهو أمر استنكره عبد الناصر نفسه أكثر من مرة كما أكد السادات على تلك الحقيقة فى أكثر من حديث صحفى عندما أكد أنه لا يوجد شئ اسمه الناصرية أو الساداتية فقط توجد مبادئ 23 يوليو ثم ثورة التصحيح .

وكانت الفترة السوداء فى تاريخ مصر التى مكنت على صبرى وأعوانه - وخاصة سامى شرف - من وضع قيادات موالية للسوفييت فى مواقع الإدارة العليا فى معظم المواقع الإنتاجية والخدمات هى نفس الفترة التى مكنت كثيراً من تجار الماركسية وأدعياء الناصرية من الانتشار كالإخطبوط فى مختلف مرافق مصر .

وتحت دعوى تسييس الإدارة فصلوا الكثيرين من أصحاب الكفاءة ومن العناصر الوطنية مما تسبب فى حدوث إرتباكات رهيبة فى وحدات الإنتاج لدرجة أن 123 شركة حققت خسائر واضحة اضطرت الدولة إلى تغطية خسائرها بل وصرف أرباح وهمية للعاملين فيها .

وقاموا بإغراء قيادات العمال بمناصب إدارية عليا فى المواقع الإنتاجية والإعلامية وفى الإتحاد الإشتراكى ورفعوا مرتبات بعضهم إلى ما يزيد على مرتبات الوزراء ونجحوا فى كثير من المواقع فى إيجاد نوعيات قذرة مكثوا لها بالانتخابات المزيفة من الدخول إلى مواقع القيادة السياسية أو البرلمانية .

ملحوظة : مع الأسف مازال هناك مجموعات من هذه العناصر مازالت فى مواقعها .

وقد لعبت المراكز الثقافية لسفارة الكتلة الشرقية دوراً كبيراً فى هذا المجال وأصبحت هذه المراكز تعمل فى خطين .

الأول معلن ويتضمن القيام بنشر البرامج الثقافية والدعاية الإعلامية لبلادهم بصورة أكثر إشراقاً لمحاولة إقناع عناصر جديدة للانضمام إليهم وتوزيع المجلات والكتب وعرض الأفلام السينمائية .

والثانى خط سرى تماماً أساسه نشر المبادئ الماركسية واللينينية بين قواعد العمال وإستقطاب قيادتهم لضمهم وتنظيمهم داخل خلايا التنظيمات الماركسية السرية .

وقد نجحوا فى دفع بعض هؤلاء العمال إلى القيام بأعمال تتعارض مع مصالح الوطن ولكنهم كانوا قلة والحمد لله أما الأغلبية الذين حاولوا إستدراجهم إلى هذه التنظيمات فإنهم كشفوا هذه المخططات ورفعوا راية الإيمان والإصرار على الانتماء للتراب الوطنى .

ولكن يبدو أن بعض المتاجرين بالعمال قد أوهموا الإتحاد السوفييتى بأن الشعب المصرى وعمال مصر أصبحوا على استعداد لتنفيذ المخطط الإجرامى ضد مصر والسادات .

القذافى يحاول جاهداً تنفيذ مخططه الإجرامى فى مصر .

المنشورات التى تطبع فى بيروت وفى غيرها لتحريض أبناء مصر تتوالى رغم ضبط بعضها ورغم القبض على بعض الخلايا الشيوعية .

محاولات تشويه كل نصر حققته ثورة التصحيح بل وأيضاً نصر أكتوبر .

محاربة الانفتاح الاقتصادى وإرهاب رءوس الأموال العالمية والعربية حتى تتردد فى التعاون مع مصر .

رفض جدولة الديون ومنع السلاح عن الجيش المصرى والإصرار على خنق الاقتصاد المصرى .

كل هذا وغيره لم يوصلهم إلى خلخلة النظام ولم ينقص من شعبية السادات .

والأيام تمر وأكتوبر يقترب إذن لابد من الإقدام على خطوة عنيفة من جانب الإتحاد السوفييتى حتى ولو كان فيها خروج من أبسط قواعد الدبلوماسية .

أراد السوفييت أن يتعجلوا إسقاط السادات قبل أكتوبر ولكنهم هم الذين سقطوا هم الذين قضوا بأنفسهم وبعملائهم على كل نفوذ سبق أن حققوه فى مصر وفى المنطقة العربية .